قسم اللغة والأدب العربي_جامعة أم البواقي_

محاضـرات مـادة (قضايا النص الشعري الحديث والمعاصر) السنة ثالثة ليسانس،
تخصص:دراسات أدبية

إعداد الأستاذة:حسناء بروش

المحاضرة رقم: 07

يوم: 2021/02/04

الأفواج: 01-02-03-04

عنـــوان المحاضرة: الإيقاع في الشعر العربي المعاصر

لقد ارتبط تاريخ مصطلح الإيقاع بالشعر اليوناني واللاتيني واللغات الأوروبية الحالية (استعملت كلمة "إيقاع" أو "ريتم" في الشعر اليوناني واللاتيني، ثم في اللغات الأوروبية الحالية التي انفصلت عن اللغات القديمة. فهو أحد مكونات عروض شعرها..) وقد أخذ مفهوم الإيقاع مدلولات متعددة. فهو لغة يطلق بمعاني مختلفة كإيقاع القلب (مثلا) وإيقاع الروح ولكنه في مجمل معانيه يرتبط بالزمن.

وتختلف معاني "الإيقاع" باختلاف مدلوله، فهناك مدلول الإيقاع الموسيقى الذي هو ليس نفس مدلوله الشعري وكذلك بالنسبة لعلاقته مع اللغة.

ويختلف الإيقاع من لغة إلى لغة أخرى، (فالإيقاع في اليونانية ليس هو الإيقاع في الفرنسية أو الإنجليزية أو الألمانية) وللإيقاع أهمية أساسية في الشعر أدركها الجرجاني، وإن لم يضع لها النقد القديم المصطلح المحدّد (يرى الجرجاني أن شعرية النص لا تجيء من

الوزن والقافية، بالضرورة، وإنما تجئ مما سماه طريقة النظم، ويعني النسق الذي تأخذه الكلمات، وهذا ما نسميه اليوم الأداء أو التعبير أو بنية الكلام) ونجد أن الإيقاع الشعري في اللغة العربية، مستمد من إيقاع اللغة نفسها، فنظام الإيقاع في اللغة العربية قائم على أساس المتحرك والساكن، من جهة، وطول المدّ وقصره.

(إن إيقاع الفصحى المبني على التضاد بين طول الحركة وقصرها شيء أساسي) ونجد أن إيقاع اللغة، وإيقاع الوزن يعملان في صورة دقيقة وفي أتم الانسجام. وفي القصيدة الواحدة.

وهنا نقف على سرّ من أسرار اللغة العربية. (وهذا أن الكائنين، وزن اللغة ووزن العروض يسكنان معا القصيدة وهما متحابان ومتضادان، أنظر إلى الوزن كيف يتنازل عن حقوقه، فيتقبل الزحافات من خبن وطي وقبض وكف، كل هذا كي تسكن اللغة معه ومن أجل الضرورة الشعرية، تقبل اللغة أن يذكر المؤنث ويؤنث المذكر، ويعبر المفرد على الجمع ويحل الرفع مكان النّصب).

ولعل هذا ما يدخل في أسرار اللغة العربيّة العجيبة التي لا تنتهي. ومن خلال بحثنا رأينا من يميز بين نوعين من الموسيقى الشعرية. "موسيقى خارجية"، و"موسيقى داخلية") فالموسيقى الخارجية تتعلق بالأوزان الشعرية، والقافية. (أما الموسيقى الداخلية فهي النغم الذي يجمع بين الألفاظ والصورة، بين وقع الكلام والحالة النفسية للشاعر. إنها مزاوجة تامة بين المعنى والشكل وبين الشاعر والمتلقي).

أما الإيقاع في الشعر الحر فقد بني على أساس التفعيلة، واستمد إيقاعه من البحور الصافيّة. ولكن هذا الشعر، بخروجه عن نظام القصيدة العمودية، يكون قد خرج عن الإيقاع الشعري المتعارف عليه في القصيدة العمودية. فقد ضاعت وحدة البيت. وبالتالي تضيع وحدة الإيقاع. وتخلّى عن القافية، وهي خاصية فاعلة في نظام الإيقاع الناشئ من توازن

مجموع الألفاظ، ومجموع الإيقاع. (كل هذا يجعلنا نقول بأن الشعر الحر يتأرجح بين الوزن والإيقاع الحر).

وقريب من هذا الرأي الذي يذهب إليه الباحث المختص في فن العروض وعلمه، مصطفى حركات، تذهب الشاعرة نازك الملائكة في أنّ الشعر الحرّ قد خرج عن قانون الوزن الشعري، (الشعر الحرّ ليس وزنا معينا أو أوزانا كما يتوهم أناس. وإنما هو أسلوب في ترتيب تفاعيل الخليل، تدخل فيه بحور عديدة من البحور العربية الستة عشر المعروفة.)

وفي الشعر الحرّ نجد أن أساس الوزن فيه هو التفعيلة الواحدة، وهذا ما يجعلهم مرتبطين بالبحور البسيطة والصافية، وهي الوافر، والكامل، والهزج، والرجز، والرمل، والمتقارب، والمتدارك. وقلت استعمالات البحر الطويل والخفيف. فالشاعر الحر عندما يستعمل بحر الرمل، مثلا، فإنه يأخذ تفعيلة "فاعلاتن"، ثم ينظم قصيدته ليس على نظام "الشطر" بل على "نظام السطر"، لأن الشطر، هو نظام بيت القصيدة العمودية، ويتطلب نظام الشطر أن يقابله الشطر الثاني، ليتكون البيت من شطرين، أما نظام القصيدة الحرة فإنه يلغي صيغة البيت الشعري القديم، ليعوضه بـ "السطر الشعري" فإذا أخذ الشاعر تفعيلة "فاعلاتن"، لنظم قصيدته فإنه مطلق التصرف في عدد التفعيلات، في السطر الشعري الواحد، وقد يستعمل تفعيلتين، ويجوز له أكثر من ذلك، وأقل، حسب مقتضى السطور الشعرية، غير أنه في البحر الممزوج، مثلا، السريع (مستفعلن مستفعلن فاعلن). فإنه يأخذ التفعيلة الأساسية من البحر، وهي التفعيلة المكررة، وهي هنا (مستفعلن)، ويكررها بالعدد الذي يناسبه، دون قيد، على أنه في نهاية كل سطر شعري يجب أن يثبت التفعيلة الثانية، التي هي هنا (فاعلاتن) وبالتالي فقد يطول السطر الشعري أو يقصر، مكررا تفعيلة (مستفعلن) لكن في نهاية كل سطر عليه أن يثبت (فاعلاتن).

مثال ذلك:

((مستفعلن، مستفعلن، مستفعلن،فاعلاتن

مستفعلن مستفعلن فاعلاتن

مستفعلن فاعلاتن)) وهكذا...

غير أن غياب ترتيب صيغة ثابتة للشعر الحر أدى إلى فوضى في نظم هذا الشعر، وظهرت نماذج شعرية كثيرة تخلط بين أوزان الشعر وتفاعيله، الأمر الذي أدّى إلى محاولة تقنين لهذا الشعر، كما فعلت نازك الملائكة في كتاب (قضايا الشعر الحر) وكذلك مصطفى حركات في كتابه (الشعر الحر، أسسه وقواعده).

قائمة المراجع:

-الطاهر يحياوي، تشكلات الشعر الجزائري الحديث.